

النشاط الزراعي في خيبر

في الجامعة وحتي نهاية عهد عمر بن الخطاب

٢٣ هـ / ٦٤٤ م

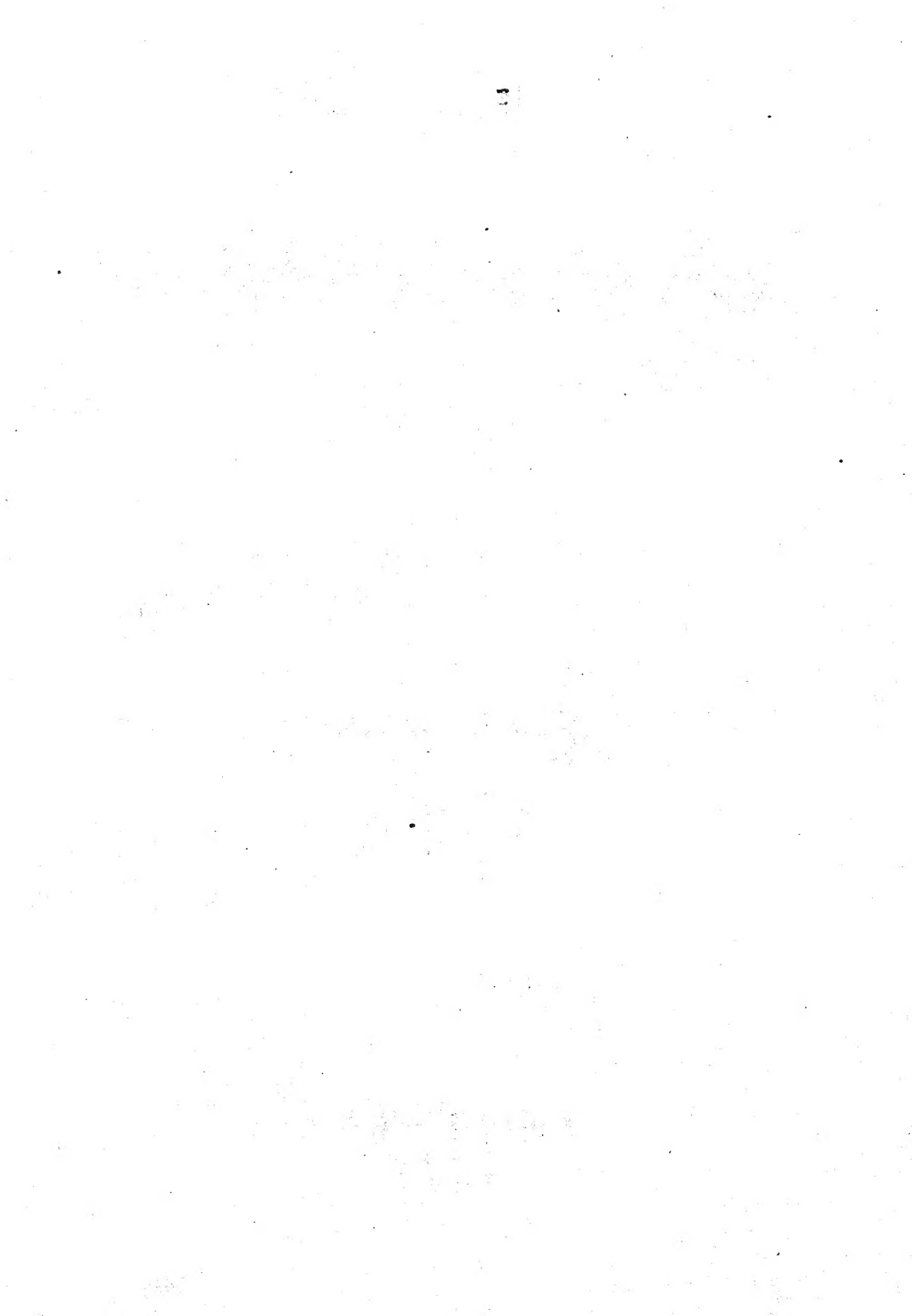
د. سلام شافعي محمود سلام

مدرس التاريخ الاسلامي

كلية الآداب - بنها

توزيع - / منتخبات / الاكاديمية

جلال حزي وشركاه



بسم الله الرحمن الرحيم

(مقدمة البحث)

عرفت الواحة في خير بأنها واحدة من أغنى بقاع أرض الحجاز . واشتهرت بكثرة تمورها ووفرة ثمارها ، فإليها وفد أهل الحجاز ونجد للامتياز من حاصلاتها ، وعندها حطت قوافل التجارة وقامت الأسواق .

وقد أسهم الانتاج الزراعى الوفير في خير في اجتذاب أنظار الجاهليين ، وأسأل كثرته لعب الجرارين ، مما دفعهم إلى توثيق علاقاتهم باليهود في خير ، فأقاموا معهم علاقات حسن جوار ، وعقد البعض معهم الأحلاف لموازرتهم والوقوف إلى جانبهم ، واشتركوا في مشروعات خير الحرية التى استهدفت الدفاع عن الواحة ، والهجوم على الدولة الإسلامية في المدينة في عهد النبى ﷺ بغية القضاء عليها ، وذلك مقابل جعل أو شطر من ثمار الواحة ، ولا بد أن هذا الشطر كان كبيراً ، ومغرياً ، يستأهل التضحية من أجل الحصول عليه .

هذا الانتاج الزراعى الوفير . أسهم في غنى سكان الواحة . وشهرتها وورخائها وازدهار تجارتها ، كما أسهم في توجه العلاقات بين اليهود في خير والقوى المجاورة لها ، كما أن اليهود في خير وجهوا هذا الانتاج توجهها حريباً ، وحولوه إلى اقتصاد حرب عند الضرورة ، عندما جعلوه في خدمة مشروعاتهم الحربية والسياسية . غير أن هذا الانتاج الوفير ، قل وتدهور بعد أن فتح المسلمون خير ، مع أن الأرض ظلت بيد اليهود وفق ما شرط عليهم رسول الله ﷺ .

ومن ثم أصبح من الأهمية بمكان القيام بدراسة تفصيلية للتعرف على أوجه النشاط الزراعى لليهود في خير قبل الإسلام ، وعوامل قيام الزراعة في تلك الناحية من بلاد الحجاز وأهم المشروعات الزراعية التى قامت على أرض خير ،

ثم إلقاء الضوء على أهم المحاصيل الزراعية التي اشتهرت بها الواحة ، مع الإشارة إلى الانتاج الحيوانى فى الواحة الخيرية ، ثم نختم هذا البحث بإلقاء الضوء على أحوال الزراعة فى خير ، وأسباب تدهور الانتاج الزراعى فيها بعد الفتح وحتى إجلاء عمر بن الخطاب اليهود عن خير سنة ٢٠هـ / ٦٤٠ م .

والله الموفق ولله الحمد ،،،

د . سلام شافعى محمود

الاسكندرية فى ٧ ذو الحجة ١٤٠٩ هـ .

١٠ يوليو ١٩٨٩ م .

النشاط الزراعى فى خير
فى الجاهلية وحتى نهاية عهد عمر بن الخطاب

خير ريف الحجاز :

عرفت خير قبل الإسلام بأنها « ريف الحجاز »^(١) ، و (الريف) لغة : « الخصب والسعة في المآكل .. والريف : ما قارب الماء من أرض العرب وغيرها ، والجمع أرياف وريوف . قال أبو منصور : الريف حيث يكون الحضر والمياه . والريف : أرض فيها زرع وخصب . ورافت الماشية أى رعت الريف . والريف : كل أرض فيها زرع ونخل ... وتريف القوم وأريفوا وتريفنا وأريفنا : صرنا إلى الريف وحضروا القرى ومعين الماء ، ومن العرب من يقول راف البدوى يريف إذا أتى الريف »^(٢) ، و (الريف : الخصب والسعة في المطعم ، وحيث الخضرة والحياة »^(٣) ، وهكذا كانت خير ، وهكذا عرفها الجاهليون ، فهي عند أهل مكة « قرية الحجاز : ريفاً ومنعة »^(٤) ، وهي عند الثوريين « ريف الحجاز : طعاماً ، وودكاً ، وأمواً »^(٥) ، أما سادة مكة وتجارها الأثرياء فقد عرفوا خير بأنها « هي ريف الحجاز أجمع »^(٦) .

ولا مبالغة في أقوال الجاهليين ، فخير واحة كبيرة وأرض خصبة ، غنية بالأشجار والمزروعات ، وتعدُّ واحدة من أنحصب واحات شبه جزيرة العرب^(٧) ، ولا يزال اسمها — عند أهل اللغة — يحمل الدلالة على خصبها ،

-
- (١) الواقدي : المغازي ، تحقيق مارسدن جونز ، عالم الكتب ، بيروت ج ٢ ، ص ٧٠٣ .
(٢) ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق عبدالله على الكبير وآخرون ، دار المعارف بمصر ، ج ١ ، ص ١٢٦٨ (مادة : ريف) .
(٣) الصالحى : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، ج ٥ ، تحقيق فهد شلتوت وجودة هلال ، القاهرة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م ، ص ٢٦٠ .
(٤) ابن كثير : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ج ٣ ، ص ٤٠٧ .
(٥) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٠٣ .
(٦) الواقدي : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٠٤ .
(٧) حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٣٩٠هـ .

فيقول ابن دريد : « وخير اسم الياء فيه زائدة ، أحسب اشتقاقه من قولهم أرض خَبَرَة طيبة الطين سهلة » (١) ومردٌ خصب الواحة في خير (يعود) إلى غزارة مياهها وإلى تحلل صخور حرتها البركانية ، التي تحفظ على الأرض خصوبتها ، وتزيد من خصوبة التربة ، وتغذيها وتمدها بالعناصر التي تزيد من قابليتها للخصيب والتماء (٢) .

أودية الواحة في خير :

وتضم الواحة عدداً من القرى أو الدوائر الزراعية التي تكونت في الأراضي الخصبة من الأودية التي تكثر في ناحيتها (٣) ، ولعل من أهم أوديتها حسبما أشارت إليه المصادر التاريخية والجغرافية واديا : السرير وخص (٤) ، وهما واديان كبيران ، فالسرير جار على سبعة أميال (٥) والواديان يضمنان العديد من الأودية مثل أودية : الشق — ويعرف اليوم بوادي الصوير — والنطاة . وهما من أودية السرير (٦) ، والكتيبة وهو واحد من أخصب أودية خير وأكثرها غنى (٧) ، وهو الوادي المتصل بالوطيح إلى خاص (خَلص) (٨) .

- (١) ابن دريد : جمهرة اللغة ، الطبعة الأولى ، حيدرآباد ، الدكن ، ١٣٤٥هـ ، ج ٣ ، ص ٣٥٦ .
(٢) يوسف خليف : الشعراء الصعاليك ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٨ م ، ص ٧٢ .
— الخطراوي : المدينة المنورة في العصر الجاهلي ، الطبعة الأولى ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢ م ، ص ١٠٩ .

- (٣) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .
(٤) الحرى : كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، منشورات دار الجامعة ، الرياض ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩ م ، ص ٥٣٩ .
— ابن كثير : البداية والنهاية ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م ، ج ٤ ، ص ٢٠٢ .
(٥) البكري : معجم ما استمع من أسماء البلدان والمواقع ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩ م ، ج ٢ ، ص ٧٣٧ .
(٦) ابن شبة : تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق فهم شلتوت ، جدة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م ، ج ١ ، ص ١٨٨ .

- (٧) المغازي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٩٣ .
(٨) الحرى : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .
— البكري : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٢١ .

وكلها أودية اشتهرت بخصوبة الأرض ، وكثرة المزروعات ، وجودة المحاصيل ، وروعة الحوائط (البساتين) وغابات النخيل ، ومماثل الشجر .

لذا أقيمت لحماية هذه الأودية وحراستها سلسلة من الحصون النعمة ، بل أن اليهود النازلين في خيبر أقاموا في الوادي الواحد العديد من الحصون والقلاع لحمايته ، ففي وادي السرير أنشئت حصون الشق ، وحصون النظاة ^(١) ، وفي وادي خاص أقيمت حصون لحماية وادي الكتيبة الذي يعد من أغنى أودية خيبر . ومنها : القموص أعظم حصون خيبر ^(٢) ، أما حصن الوطيح — الذي أقيم على جبل الأهيل فقد أنشأه اليهود مدعوماً بالعديد من الآطام لحماية مزارع وأموال تعرف بالوطيح ^(٣) ، فضلا عن غابات النخيل وأشجار الثمار التي زرعوها في المناطق ذات التربة الطينية الخصبة على سفوح جبل الأهيل ^(٤) ، وكان في هذا الوادي طعم أزواج النبي ﷺ إذ اختارت عائشة رضي الله عنها أن يكون سهمها من الأرض والماء ^(٥) ، كما كان فيه طعم بنى المطلب وبنى مخزوم ^(٦) .

(١) ابن شبة : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١٨٨ .

— الحرى : المصدر السابق ، ص ٥٣٩ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ح ٢ ، ق ١ ، ص ١٠٦ .

— الحرى : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .

— ياقوت : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ح ٣ ، ص ٣٧٩ .

(٣) الحرى : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .

— البكرى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٢٠٦ ، ح ٢ ، ص ٥٢١ ، ح ٤ ، ص ١٣٨٠ .

— الحميرى : الروض المطار في خيبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٥ م ، ص ٢٢٨ .

(٤) ياقوت : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٣٧٩ .

(٥) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٢٠ .

(٦) الحرى : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .

عوامل النشاط الزراعي وأشهر السدود في خير :

وعمل اليهود بالزراعة في خير ، إذ كانت الفلاحة حرفتهم الرئيسية ولهم خيرة بالأعمال الزراعية ^(١) وكان اليهود وزوجاتهم وأولادهم يقومون بحراث الأرض وزراعتها ^(٢) وفي حديث خير أن النبي ﷺ « أقرهم فلاحين ماشاء الله على أن لهم الشطر من كل زرع وثمر » ^(٣) ، و « كان اليهود قوماً لهم ثمار لا يصيبها قطعه » ^(٤) أى لا ينقطع عنها الماء فقد اشتهرت خير بأنها موضع عزيز المياه ، « فهي مُغفرة في الماء » ^(٥) ، « والماء فيها واتن » ^(٦) أى لا ينقطع ، وذلك لكثرة العيون التي يستفاد منها في سقى الزرع وإرواء الأشجار المغروسة في أراضيها الخصبة ^(٧) ، كما كانت تخرج من هذه العيون الدبول (الجداول) والمناهر (الأنهار الصغيرة) التي اهتم اليهود باصلاح عماريها وتجهيزها وتنقيتها ^(٨) ، وقد أشارت المصادر إلى تلك الدبول التي كانت مشارب لسكان الحصون ، كما ذكرت تلك المصادر أنه كان لليهود الحصون بالنطاة دبول تصل إلى أسوار الحصون ، وكانوا ينزلون إليها بالليل فيشربون أثناء حصار المسلمين لحصون النطاة ، وأن المسلمين قطعوا هذه الدبول مما اضطر يهود إلى الخروج من الحصون والتصدى للمسلمين عند الأسوار ^(٩) .

- (١) ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب ، القاهرة ، ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م ، ص ١٨٥ .
- (٢) جروهمان : خير - مقال بدائرة المعارف الاسلامية ، ح ٩ ، ص ٥٦ .
- (٣) ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، تحقيق صبحي الصالح ، الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ م ، ح ١ ، ص ١٨٣ .
- (٤) الواقدي : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٧١٣ .
- (٥) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧١٣ .
- (٦) (غفره : غطاء القاموس المحيط ، ح ٢ ، ص ١٠٣) .
- (٧) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٣٧ .
- (٨) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ح ٧ ، ص ١٩٧ .
- (٩) جواد علي : المفصل ، ح ٧ ، ص ١٧٩ .
- (الدبل : الجدول من الجداول ، وإنما سميت الجداول دبولاً لأنها تبدل أى تصلح وتجهز وتنقى) .
- (٩) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٦ ، ٦٦٧ .

ومع أن المصادر أشارت إلى كثرة العيون في خير ، وأن صاحب « تحفة المحبين » يذكر أنه رأى « في بعض التواريخ أن اسمها في الجاهلية (خَيْرٌ) لأنه كان بها من العيون بعدد أيام السنة » (١) ، إلا أن مصنفى هذه المصادر لم يفيضوا في ذكر أسماء هذه العيون وأماكن تواجدها على وجه الدقة والتحديد ، فصاحب « كتاب المناسك وطرق الحج » ذكر أن « بالشق عيون » ولم يذكر من عيون هذا الوادى إلا عيننا تسمى (الحمية) (٢) (الحمة) (٣) (الحمة) (٤) وكانت غزيرة المياه (٥) وهى التى سماها النبى ﷺ (قسمة الملائكة) ، يذهب ثلثا مائها في فلج ، وثلث في فلج والمسلك واحد (٦) . كما كان من عيون الماء بوادى النطاة عين ماء تجرى تسمى (عين النطاة) ، يسقى منها بعض نخيل قراها (٧) ، واشتهرت بأنها عين وبئة (٨) أما (اللجيجة) فهى « العين العظمى بالنطاة » (٩) وفي هذا الوادى ورد اسم عين أخرى يقال لها (الخرار) (١٠) .

(١) ابن عبد الكريم الانصارى : تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب ، تحقيق محمد العروسى المطرى ، الطبعة الأولى ، تونس ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ، ص ٢١٤ .

(٢) الحرى : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .

(٣) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .

(٤) الفيروزابادى : المقام المطابة في معالم طابة ، تحقيق حمد الجاسر ، الطبعة الأولى ، دار الجامعة ، الرياض ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ص ١٠٠ .

(٥) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .

(٦) الحرى : المصدر السابق ، ص ٥٤١ .

— الفيروزابادى : المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

— الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٣٥ .

— الديار بكري : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ، بيروت ، ح ٢ ، ص ٤٨ .

(٧) الفيروزابادى : المصدر السابق ، ص ٤١٢ .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .

(٨) باقوت : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٩١ .

(٩) البكرى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٥٢٢ .

(١٠) البكرى : نفس المصدر ، ح ١ ، ص ٤٩٢ .

وإذا كانت المصادر التي بين أيدينا لم تفض في ذكر أسماء عيون الماء ومواقعها في خير فإن بعض الباحثين في معالم جزيرة العرب قد أشاروا إلى أسماء كثير من هذه العيون ومواقعها (١) .

على أن غزارة مياه بعض العيون في خير ، وبخاصة تلك التي تسيل في الأرض السبخة فيما بين واديا الشق والبطاة (٢) وهي أرض تر ، ومنطقة وخيمة (٣) ، فضلاً عن مسيل (عين النظاة) ، وهي عين وبقة ، أدى إلى انتشار بعض الأوبئة وبخاصة الحمى (الملاريا) ، لذا كانت خير « موصوفة بالحمى » (٤) ، فيقولون « حمى خير » ، « والحمى الخيرية » (٥) ، التي سببتها المستنقعات الوبقة .

وتسقط الأمطار على منطقة خير ، فتسيل الأودية ، وتخوع بعضها (٦) ، وهناك جملة مسائل مازال الناس يزرعون عليها مما أدى إلى إقامة السدود في أعالي الأودية ، بهدف حصر قدر من الماء لوقت الحاجة ، وإرواء ماحول السدود من الأرض التي لاعيون ولا آبار فيها ، فضلاً عن حجز المياه القوية والسيول التي قد تحدث في الواحة فياضات تؤثر في المزروعات أو منازل

(١) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٨٥ — ٢٨٧ .

(٢) الحرفي : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .

(٣) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٣ .

(٤) النز : مايتحلب من الأرض ماء — الصحاح ص ٨٩٦ .

(٥) البيهقي : المحاسن والمساوي ، ج ٢ ، ص ١٤٠ .

— القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ص ٩٢ .

(٥) « والناس يقولون : حمى خير ، وطوعين الشام ، ودمايل الجزيرة ، وجرب الزنج ، وطحال البحرين » — الحمداي : صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوخ ، منشورات دار الجامعة ، الرياض ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ص ١١٨ .

(٦) الفيروزآبادي : المعاني المطابة ، ص دظ .

السكان ، إذ تشير الآثار الباقية من تلك السدود على معرفة بفن هندسة الرى ، وحذق ومهارة فى اقامتها ، وإدراك لفائدتها^(١) ، وتشير مصادرنا التاريخية فى حوادث الحرم/ صفر سنة ٧ هـ أثناء رجوع النبي ﷺ إلى أشهر السدود المعروفة آنذاك وهو « سد الصهباء » كما تشير إلى أنه يقع على ستة أميال من خير من جهة المدينة إلا أن هذه المصادر لم تقدم لنا المزيد من التفاصيل عن هذا السد أو غيره من السدود التى كانت موجودة آنذاك^(٢)

على أنه من السدود التى يرجع تاريخ إنشائها إلى عصر ما قبل الإسلام مباشرة فى منطقة خير "سد القصيبة"^(٣) ، والذي سماه فلبى (سد قصر البنت)^(٤) ، ويشير تقرير أثرى إلى أنه يُعد من أكبر السدود القديمة الأثرية فى تلك المنطقة ، ويقع فى رافد ضيق عميق لوادى العُرس فى حرة خير ، ويبلغ طوله ٢٠٥ متر ، والأجزاء الباقية من جسم السد بارتفاع ٢٥ متراً من الجهة الشرقية ، بينما يبلغ ارتفاعه من الغرب عند الوجه الخلفى ١٩ متر ، ويرتفع الغرين أمام وجه السد^(٥) ، وقد بنى السد من حجارة غير مشدبة ، ملصقة بمهارة وحذق^(٦) والسد مُدرّج فى كلا جانبيه ، ويشكل قطاعاً مستعرضاً مثلث الشكل . مدعم بدعامات تزيد من قوته ومتانته^(٧) ، وهناك أيضاً (سد المشقوق) شرق خير و (سد الحصيد) ويقع فى الجنوب الغربى من الواحة

(١) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .

(٢) ابن سعد : المصدر السابق ، ح ٢ ، ق ١ ، ص ٧٧ .

— البيهقى : دلائل النبوة ، ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، تحقيق عبدالمعطى قلعجى ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ح ٤ ، ص ٢٢٨ .

(٣) جليمور وآخرون : تقرير مبدئى عن مسح المنطقتين الشمالية الغربية والشمالية ، أطلال (حولة الآثار العربية السعودية) ، العدد السادس ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ١٨ .

(٤) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٨٢ .

(٥) جليمور وآخرون : المرجع السابق ، ح ٦ ، ص ١٨ .

(٦) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٨٢ .

(٧) جليمور وآخرون : المرجع السابق ، ح ٦ ، ص ١٨ .

الخيرية ، ويرى عالم الجزيرة أن هذه السدود كانت صالحة ومستعملة في عصر ما قبل الاسلام ، وأنها أفادت الزراعة في خير وخاصة أشجار النخيل وحقول القمح وهما أهم حاصلات الواحة الخيرية التي يحتاج إليها أهل البادية الذين يفقدون إلى خير للامتياز (١) .

ونظراً لتوفر المياه في خير من العيون في المسایل والجداول والمناهر ، إلى جانب الأمطار ، فضلاً عن خصوبة التربة في كثير من أوديتها وعلى سفوح بعض جبالها ، وخبرة يهود واهتمامهم بخدمة الزرع من إصلاح الأرض (٢) ، وسقى الثمار وتطهير الأنهار (القنوات) وإصلاح منابت الشجر وتلقيحه ، وحفظ الثمرة وجذاذها ، وبناء الحوائط وحفر الأنهار (٣) فقد اخضرت الواحة بأشجار النخيل وجادت المزارع والبساتين بالثمار .

أهم المحاصيل الزراعية في واحة خير :

وواحة خير من أشهر مناطق الحجاز التي تجود وتكثر بها أشجار النخيل (٤) « موصوفة بكثرة النخل والتمر » (٥) ففي حديث خير عن عائشة رضى الله عنها قالت : « لما فتحنا خير ، قلنا : الآن نشبع من التمر » (٦) لكثرة ما فيها من

(١) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، ص ٣١ ، ٣٦ ، ٣٩ .

— جواد على : المرجع السابق ، ح ٧ ، ص ١٤٢ .

(٣) | النوى : صحيح مسلم بشرح | النوى ، ح ١١ ، كتاب المساقاة والمزارعة ، ص ٢١١ .
— ابن زنجويه : الأموال ، تحقيق شاكِر ذيب فياض ، الطبعة الأولى ، مركز الملك فيصل للبحوث ، الرياض ، ١٤٠٦ هـ ، ح ١ ، ص ٢٩٨ .

(٤) ابن حجر : فتح البارى ، ح ٦ ، كتاب المغازى ، باب غزوة خير ، حديث رقم ٤٣٤٣ ، ص ٥٦٧ .

(٥) ياقوت : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص .

(٦) ابن حجر : فتح البارى ، كتاب المغازى ، باب غزوة خير ، ح ٧ ، حديث رقم ٤٢٤٢ ، ص ٥٦٧ .

السندرة^(٤) وهناك أيضا شجر اللثوم^(١) وهو شجر يشبه النخل إلا أنه يثمر المقل ، وله ليف وخوص مثل ليف النخل^(٢) ، وغير ذلك من الأشجار التي كثرت في أرض خيبر ، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ « أقطع الزبير أرضا بخيبر فيها شجر ونخل »^(٣) ، كما تشير بعض المصادر إلى أن اليهود في خيبر غرسوا الأشجار أمام أسوار الحصون مثل تلك التي وجدت عند حصن ناعم^(٤) ، وعند حصن وجدة^(٥) ، كذلك نمت الأحراش في الواحة الخيبرية ، وأشارت بعض مصادرنا إلى أحمال الخشب والحطب التي وجدها المسلمون في بعض الحصون بعد فتحها^(٦) .

الرعى وتربية الماشية :

كذلك وجدت في الأودية الكثيرة الخصبة في خيبر المراعى الخضراء الغنية^(٧) بالحشائش ، والبقل ، والأشجار المورقة ، والأحراش فضلا عن آبار الماء والجداول الجارية ، وعيون الماء التي تسيل في الأودية فتحضر الأرض دوغما عناء^(٨) ومن ثم اهتم يهود بتربية الغنم ، والبقر ، والحمير ، والإبل ، وكلها

(١) ابن منظور : اللسان ، ح ٢ ، ص ٢١١٦ (مادة : سند) .

(٢) البكري : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٥٢١ .

(٣) ابن منظور : اللسان ، ح ٢ ، ص ١٤٦٠ (مادة : دوم) .

(٤) ابن زنجويه : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦١٤ .

(٥) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٥٥ .

(٦) الحرى : المصدر السابق ، ص ٥٣٩ .

— البكري : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٥٢١ .

(٧) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٤ .

— المقرئى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٢٤١ .

— الخليلي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٤٣ .

(٨) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٣٣ .

النخيل ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « ماشبعا — يعنى من التمر حتى فتحنا خير » ^(١) ، وأبو رافع سلام بن أبى الحقيق نزيل خير وأحد الرؤساء اليهود هو القائل أثناء حصار النبي ﷺ ليهود بنى النضير سنة ٤ هـ : « إن قُطِعَت العَجْوَةُ هاهنا ، فَإِنَّ لَنَا بِخَيْرٍ عَجْوَةً » ^(٢) وكانت العجوة خير أموالهم ^(٣) ، وهو أيضا نفسه القائل عند اجلاء بنى النضير عن المدينة ... فَإِنْ يَكُنِ النَخْلُ قَدْ تَرَكْنَاهَا فَإِنَّا نَقْدَمُ عَلَى نَخْلٍ بِخَيْرٍ » ^(٤) ، ويهود خير هم الذين قالوا عن أنفسهم : « نحن أرباب النخل وأهل المعرفة بها » ^(٥) ، و « إن لنا بالعمارة والقيام على النخل علماً » ^(٦) كما كان يهود خير في نظر من حولهم من القبائل العربية هم « أهل النخل » ^(٧) .

وقد يتساءل القارئ عن السبب بل عن الأسباب التي أدت إلى كثرة أشجار النخيل في الواحة الخيرية بعامة وفي منطقة الحصون بخاصة ؟

يحيينا على هذا التساؤل الصحابي الجليل الحباب بن المنذر رضى الله عنه — وكان له معرفة ودراية بيهود خير ^(٨) — عندما أشار على النبي ﷺ بقطع أشجار النخيل التي كانت ترتفع أمام حصن ناعم بوادى النظاة حال حصاره بقوله : « يارسول الله إن يهود ترى النخل أحب إليهم من أبكار أولادهم ،

(١) ابن كثير : السيرة ، ح ٣ ، ص ٢٨٢ .

— الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٣٥ .

(٢) الواقدي : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٣٧٣ .

(٣) الواقدي : نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

(٤) الواقدي : نفس المصدر ، ح ١ ، ص ٣٧٥ .

— الصالحى : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٤٦١ .

(٥) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٩٠ .

(٦) البلاذرى : المصدر السابق ، ص ٣٦ .

(٧) المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٢٩ .

(٨) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٤٣ .

فاقطع نخلمهم» (١). ولا عجب ! فيهود منطقة الحصون . كانوا أحرص الناس على زرع النخيل وغرسه ، وكانوا أكثر خبرة بزراعته وسقيه (٢) لأن النخلة مثل الجمال في الثروة ، ورأس مال تدر على صاحبها محصولاً كثيراً وربما وفيراً (٣) ، ومن كان له نخل وافر كان غنيا ثريا ، وهو خير أموالهم (٤) فالنخلة عندهم من حيث القيمة تساوى « ثمن وصيف وأحب إليهم من وصيف » (٥) ، ومن ثم اكتسب يهود خيبر من وراء زراعته أموالاً طائلة لأن الاعراب كانوا يأتون خيبر ليشتروا تمرها بما عندهم من وبر ومن حاصل البوادي (٦) ، فضلا عن ذلك فإن اليهود أحاطوا النخلة — « وهى سيدة الشجر » (٧) لاعند سكان الجزيرة فحسب ، بل عند قدماء الساميين بهالة من التقديس والتعظيم ، إذ عثر على صورها وصور سعتها على نقود العبرانيين (اليهود) الذين كانوا يحترمون النخلة احتراما لا يقل عن احترام العرب لها ، ومن ثم ورد ذكرها في مواضع عديدة من التوراة والتلمود (٨) ، أضيف إلى ذلك أن يهود خيبر زرعوا النخيل واستكثروا من زراعته في الأرض السبخة الواقعة بين واديا النظاة والشق ، وهى أرض وخيمة ، ذات نر ، وملح (٩) ،

(١) الواقدي : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٤٤ .

(٢) الواقدي : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٦٩١ .

البلاذرى : فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، ص ٣٦ .

(٣) أبو حاتم السجستاني : كتاب النخل ، تحقيق ابراهيم السامرائى ، الطبعة الأولى ، دار اللواء ، الرياض ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ١٥ .

(٤) الواقدي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٧٢ .

(٥) البغوى : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٥٩ .

(٦) جواد على : المفصل ، ج ٧ ، ص ٦٨ .

(٧) أبو حاتم السجستاني : المصدر السابق ، ص ٣٣ .

(٨) محمد بيومى مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، الطبعة الثانية ، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٩) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٣ ، ٦٤٤ .

وانظر ابن منظور : لسان العرب ، ج ٢ ، ص ٨٣ مادة (سبخ) .

للتخفيف من البخر الناتج من شدة الحرارة وارتفاع الملوحة ووجود النر (١) الذى يهدد التربة الزراعية فى تلك المنطقة من النطاة بالاستصلاح المتزايد ، ومن ثم لجأ اليهود فى خير إلى زراعة النخل باعداد كبيرة فى منطقة النطاة لا كغذاء أو قيمة اقتصادية فحسب ، وإنما أيضا للمحافظة على التربة الخصبة بالنطاة، ومحاصرة الأرض السبخة ، كذلك غرس اليهود فى خير النخل بكثرة فى الأودية بمنطقة الحصون لتستظل به الزراعة ، ولترقد عند أقدامها وبين جذوعها العديد من الزروع والمحاصيل (٢) ، وليستظل تحتها الإنسان والحيوان ، وليستفاد من جذوعها وثمارها وخصصها وليفها ونوى تمرها (٣) . ولهذا امتازت منطقة الحصون بوجود آلاف من أشجار النخل (٤) ، قامت كالغابة الحقيقية وصارت تشكل مظلة الواحة فى خير ، اذ تذكر المصادر التاريخية والجغرافية أنه كان فى منطقة حصون وادى الكتيبة (٤٠٠٠٠) أربعين ألف نخلة (٥) ، أما منطقة حصون وادى النطاة « فكانت كثيرة النخل » مع أن أرضها أرض نر (٦) كما أحاطت بمحصن (وجدة) كثرة من أشجار النخل (٧) هذا فضلا عن

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٢) الواقدى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٣٧٨ ، ٦٩٠ .

— المقرئى : امتاع الاسماع ، تحقيق محمد التمسى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١ م ، ح ١ ، ص ٢٤٧ .

(٣) نورة الشيخ : الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى المدينة المنورة فى صدر الاسلام ، الطبعة الأولى ، جدة ، السعودية ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ١٢٥ .

(٤) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٥) ابن شبة : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١٧٧ .

— ابن كثير : البداية والنهاية ، ح ٤ ، ص ٤٠٢ .

(٦) الواقدى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٤٤ .

(٧) الحرى : المصدر السابق ، ص ٥٣٩ .

— البكرى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٥٢١ .

نخيل الوطيح — الذى ترويه عيون معروفة فى خير^(١) وغيرها من أشجار النخيل التى انتشرت فى الواحة الخيرية فى جهتيها الشرقية والجنوبية الغربية^(٢) .

إلا أنه لم يغب عن ذهن الباحث أن يهود خير غرسوا أشجار النخيل بكثرة أمام الحصون ، بل وأحاطوها بغابة من النخيل كضرورة حربية ، لتشكل بأعدادها الكبيرة المتقاربة والمتراصة عائقا يعرقل تقدم المهاجمين واقتحامهم الحصون ، حيث لا مجال للفرسان والخيالة للقيام بعمليات هجوم جماعى أو فردى خاطف أمام كثافة أشجار النخيل التى تعوق حركتها ومناورتها وتضيق الطريق عليها^(٣) كما أن كثافات أشجار النخيل الملاصق للحصون وارتفاع قاماتها الباسقات وتشابك رؤوسها فى عنان السماء يمنع سهام المغيرين وحرابهم ونبلهم وآلات رميهم من الوصول إلى المدافعين فى القلاع والآطام والأبراج وخلف الأسوار^(٤) كذلك كان سكان الحصون يستخدمون تحمر النخل ككمائن حيث يدخلون فيها ويختبئون ، لينقضوا على عدوهم ليلاً أثناء ميته أمام أسوار الحصون فى انتظار الصباح لمواصلة الهجوم فينالون منه^(٥) . وأخيراً فإن الحصون فى خير كانت تقف شامخات فى ذرى الجبال لتحضى غابات النخيل التى تشكل القاسم الأكبر من ثروة اليهود القاطنين فى الحصون .

(١) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٨٥ .

(٢) حمد الجاسر : نفس المرجع ، ونفس الصفحة .

(٣) باهميل : غزوة خير ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م ، ص ٢٢٧ .

(٤) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٣ .

الخمر : بالتحريك ، الشجر الملتف ... وما وراك من الشجر لاین منظور : اللسان ، ج ١ ، ص ٩٠٠ (مادة : خمر) .

— الحلى : انسان العمون فى سيرة الأمين المأمون ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م ، ج ٢ ، ص

(٥) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٣ .

ولأهمية النخل والاهتمام بها جادت أشجار النخيل بأنواع التمور ، واشتهرت
خير بكثرة التمر ^(١) ، حتى ضرب بها المثل في كثرته .

قال حسان بن ثابت :

فإننا ومن يهدى القصائد نخونا كمستبضع تمرأ إلى أهل خير^(٢)
وقال خارجة بن ضرار المُرِّي :

فإنك واستبضاعك الشعر نخونا كمستبضع تمرأ إلى أهل خير^(٣)
ولجودة تمر خير صار أهلها يضربون به المثل المعروف : « يامهدى التمر على
أهل خير » ^(٤) .

وليس أدل على كثرة محصول التمر في الواحة الخيبرية من أن نخل وادي
الكتيبة كان ينتج ثمانية آلاف وسق من التمر ^(٥) ، كما كان محصول نخيل وادي
النطاة وفيراً ^(٦) . وأما عن الانتاج الكلي لمحصول التمر في واحة خير في عام ،
فان ابن شبة يذكر في مؤلفه « تاريخ المدينة المنورة » أن رسول الله ﷺ بعث
عبدالله بن رواحه ليخرص على يهود خير النخل ، فخرص عليهم أربعين ألف
وسق من التمر ^(٧) .

(١) الفزويني : المصدر السابق ، ص ٩٢ .

— الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٣٥ .

(٢) حسان بن ثابت : ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق سيد حنفى حسانين ، دار المعارف بمصر ،
١٩٧٣ م ، ص ٢٠٨ .

(٣) جواد على : الفصل ، ح ٢ ، ص ٧٠ .

(٤) عاتق غيث البلادى : بين مكة وحضرموت ، الطبعة الأولى ، مكة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ،
ص ١٧٣ .

(٥) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٩٣ .

(٦) الحرى : المصدر السابق ، ص ٥٣٩ .

— البكرى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٥٢١ .

(٧) ابن شبة : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١٧٧ .

كذلك اشتهرت خيبر بجودة تمورها ، فهناك العَجْوَةُ أشهر أنواع التمر ^(١) ، وهناك (الصِيحَانِي) الذي اكتسب شهرة كبيرة في أسواق الجزيرة ^(٢) ، ويفضل كثيرا على سائر تمر الحجاز ^(٣) ، وعلى حد قول شيخ من العرب : « فأطيب مُضغِيَّة أكلها الناس صِيحَانِيَّة » ^(٤) أما (الجنيب) الذي يعد من أجود أنواع التمر في خيبر ^(٥) فقد كان غالى القيمة بالنسبة لبعض الأنواع الأخرى من التمر ، ففي الأسواق كان يباع (الجنيب) بـ (الجمع) الصاع بالصاعين والصاعين بالثلاثة ^(٦) ، وهناك « بُردى خيبر » الذي لا يدانيه جودة وعظم ثمرة تملأ الكف إلا مُدْبَسٌ لُحْرَان » ^(٧) .

هذا ولا ننسى أن يهود خيبر أعدوا في حصونهم ودورهم مخازن تمورهم ، وكان في كل حصن خازن ^(٨) ، فدار بنى قمة ، وهى من أطام اليهود بالنظاة ، وكانت ملكاً لـ (ياسر اليهودى) ، كانت مخازنها مملوءة بالتمر ، ففي رواية

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١٧٢ ، ١٧٥ .

(٢) السهوى : وفاء الوفا باخبار المصطفى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، بيروت ، ١٩٧١ م ، ح ٤ ، ص ١٢٦٦ .

(٣) الممداني : صفة جزيرة العرب ، ح ١ ، ص ٢٤٥ ، حاشية ٤ .

— الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٨٤ .

(٤) أبو حاتم السجستاني : المصدر السابق ، ص ٨٢ .

(٥) الخزامى : كتاب تفرج الدلالات السمية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، القاهرة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٥٣٦ ، ٥٣٧ .

(٦) مالك : الموطأ ، كتاب البيوع ، رواية يحيى بن يحيى الليثي ، تحقيق أحمد عرموس ، الطبعة السادسة ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، حديث رقم ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ص ٤٢٩ .

(٧) الممداني : المصدر السابق ، ص ٣٦٠ ، ص ٣٦١ .

والبُردى : بالضم ضرب من تمر الحجاز جيد معروف يشبه البرلى (اللسان ، ح ١ ، ص ١٩٠ ، مادة : برد) .

والبرلى : ضرب من التمر ، مدور أحمر مشرب بصفرة ، كثير اللحاء ، عذب الحلاوة ، وهو أجود أنواع التمر (اللسان : ح ٢ ، ص ١٨٩ ، مادة : برد) .

(٨) الأفعاني : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٦٠ م ، ١٥٧ .

لعائشة رضى الله عنها قالت : « ماشى رسول الله ﷺ خبز الشعير والتمر حتى فُتِحَتْ دَارُ بَنِي قَمَّةَ » ^(١) ، كما كانت حصون اليهود فى النطاوة والشق والكثيبة تمتلئ مخازنها بالتمور ^(٢) ، وقد غنم المسلمون ما فيها من تمر وكانت كثيرة بعد أن فتحوا تلك الحصون ^(٣) .

أما عن النَّوى ، فقد كان انتاج خير منه وفيراً ، « فرمما اجتمع ألف صاع من النَّوى فى الكثيبة وحدها » ^(٤) ، فضلاً عن انتاج النواحي الأخرى من خير مما يدل على كثرة النوى الذى كان يُعد علفاً للابل والغنم وغيرها ، ويشكل سلعة هامة عند يهود سكان الحصون ، « فنوى النخل عظيم البركة ، تعلق الابل النوى حتى تسمن وتكثر شحومها .. وتقوى على حمل المحامل الثقيل ، وتعلق الصنائب من الغنم النوى أيضاً ، فتكثر ألبانها ، ويبيع النوى بمال عظيم لا يضبط حسابه » ^(٥) .

وفى واحة خيبر التى حرص اليهود على أن لا ينقطع الماء عن ثمارهم ^(٦) ، زرع اليهود تحت النخل كثير من الزروع والحاصلات ، وبخاصة الشعير الذى جادت زراعته فى أودية خيبر ، فكان انتاج وادى النطاوة من الشعير وفيراً ^(٧) ، وما غنمه المسلمون من (دار بنى رقمة) يقطع بوفرة انتاج هذا الوادى ^(٨) ،

(١) البكرى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٥٢٣ .

(٢) البرهان الحلبى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٤١ .

(٣) ابن كثير : السيرة النبوية ، ح ٣ ، ص ٣٨٣ .

(٤) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٩٣ .

(٥) أبو حاتم السجستاني : المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٦) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٩٠ .

(٧) ابن كثير : السيرة النبوية ، ح ٣ ، ص ٣٨٣ .

(٨) البكرى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٥٢٣ .

كما « كان يزرع في الكتيبة شعير ، فكان يحصد منها ثلاثة آلاف صاع »^(١) ، كما وجد في (حصن الصعب) وهو من حصون النبطاة شعيراً كثيراً^(٢) ، أما عن الانتاج الكلى لمحصول الشعير في خيبر فقد بلغ حوالى عشرة آلاف صاع^(٣) ، وكانت له مخازن في الحصون والآطام والدور ، وكان اليهود يتاجرون بدقيق الشعير ويبيعونه في الأسواق^(٤) كذلك زرع اليهود القمح وكان انتاجه وفيراً^(٥) ، وكان يعد من أهم تجاراتهم^(٦) ، كما زرعوا البقول^(٧) وكانوا يقبلون على أكلها ، فضلاً عن الخضروات وبخاصة البصل والثوم والكراث إذ حرص اليهود على أكلها لما فيه من صحة أبدانهم فيما يعتقدون^(٨) ، ويخبرنا أبا ثعلبة الخشني أنه غزا مع رسول الله ﷺ خيبر ، « فوجدوها في جناتها بصلًا وثومًا فأكلوا منه وهم جياع » ، وفي رواية « حتى تفرحت أشداقهم » ثم نهى النبي ﷺ عن اتيان المسجد لمن أكلها^(٩) .

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٩٣ .

(٢) الواقدي : نفس المصدر ، ح ٢ ، ص ٦٦٤ .

— البرهان الحلبي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٤١ .

(٣) الشريف : المرجع السابق ، ص ٣٥٨ .

(٤) ثورة الشيخ : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٥) السهيلي : المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ٥٢٧ .

(٦) ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٨ .

— نورة الشيخ : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٧) الشيباني : كتاب السير الكبير ، املاء محمد بن أحمد السرخسي ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ م ، ح ١ ، ص ١٣٣ .

— الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٩١ .

(٨) ابن قتيبة : عيون الاخبار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ م ، ح ٣ ، ص ٢٧٠ .

— ابن عبدربه : العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وآخرون ، الطبعة الثانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ح ٦ ، ص ٣٠٦ .

(٩) عروة بن الزبير : مغازى رسول الله ﷺ ، ص ١٩٥ .

البرهان الحلبي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٥١ .

وكان يهود خيبر أصحاب حوائط ^(١) وقد غنم المسلمون منهم بعد فتح الحصون حوائط كثيرة ^(٢) ، والحوائط جمع حائط ، وهي البساتين ، إذ يقال للبلستان إذا كان محاطا بسور الحائط ^(٣) ، وكانت حوائط يهود منتشرة في أودية النطاة والشق والكتيبة ^(٤) ، وكانت هذه الحوائط تغص بمختلف أشجار الفاكهة والنخيل وغيرها من المزروعات التي كانت تحتاج إلى أسوار تحيط بها للمحافظة عليها خشية نهبها ولتيسير حراستها ^(٥) ، بل إن يهود خيبر ربطوا بين هذه الحوائط بشبكة من السكك الضيقة تؤدي إلى الحصون المنيعة ^(٦) التي تعددت أغراضها وبخاصة حراسة الواحة ومن عليها .

وفي خيبر غرس اليهود أنواعا من الشجر ، مثل شجر العُشر ، وهو من كبار الشجر ، معروف عندهم ، وله ضمغ حلو يسمى العشر ، وثمرته نفاخة كنفخة القثاء الأصفر ^(٧) ووجدت منه حول بعض الحصون عشرات عُمرية ^(٨) ، وهناك شجرة السندرة ، وهي شجرة يعمل منها النبل والقسي ^(٩) . كما يصنع منها مكاييل كبيرة تعرف بمكيال السندر ، أو

(١) عروة بن الزبير : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

(٢) ابن كثير : السيرة ، ح ٣ ، ص ٣٩٤ .

— الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٢٠ ، ٢٦٢ .

(٣) ابن منظور : اللسان ، ح ١ ، ص ٧٥٧ ، مادة (حوط) .

— الصالحى : المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ١٧٩ .

(٤) عروة بن الزبير : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

— الصالحى : المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ٢١٧ .

(٥) جواد على : المفصل ، ح ٧ ، ص ٣٤ ، ٧٧ .

(٦) ابن سعد : المصدر السابق ، ح ٢ ، ق ١ ، ص ١٠٦ ، ١٠٩ .

(٧) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٥٢ .

(٨) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٥٥ ، ٦٥٦ .

(٩) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٥١ .

كانت ترتع سائمة في أرض الواحة في حماية الحصون وعلى مقربة منها (١) . وكان يهود خيبر يخرجون بمواشيهم وسرحهم عند بزوغ الشمس (٢) ويعودون بها عند المساء (٣) ، ومن الجدير بالذكر أن الغنم والبقر والحمير هي دون الجمل في المكانة والمنزلة عند الأعراب وقد ترفعوا عن تربيتها (٤) ، بينما نجد اليهود في خيبر يهتمون بها ، فهي عندهم مصدراً هاماً من مصادر ما كان يجمعه أغنياؤهم من ثروات (٥) .

فتشير المصادر التي بين أيدينا إلى قطعان الأغنام التي كانت ترعى على مشارف الريف في خيبر (٦) وعلى مقربة من الحصون (٧) فهي لا تستطيع أن تتوغل خارج الواحة بعيداً عن مصادر الماء لأنها لا تتحمل العطش (٨) كما تشير هذه المصادر إلى أن قطعان الأغنام كانت تأخذ طريقها كل يوم من وإلى الحصون صباح مساء . وأنه « كان في القطيع للناس الشاة والشاتين وأكثر من ذلك » (٩) ، كما كان يعمل في رعيها عمال في خدمة يهود من أهل البيوتات

(١) ابن حجر : فتح الباري ، كتاب المغازي ، باب قتل أبي رافع بن أبي الحقيق ، حديث رقم ٤٠٤٠ ، ص ٣٩٨ .

— الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٠ ، ٦٦٤ .

(٢) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب المغازي ، باب قتل كعب بن الأشرف ، ح ١٢ ، ص ١٦٥ .

(٣) السهيلي : الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، الطبعة الأولى ، دار الكتب الحديث ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، ح ٦ ، ص ٥٠٨ .

— الصالحى : المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ١٦٣ ، ١٧٠ .

(٤) جواد على : المرجع السابق ، ح ٧ ، ص ١١٣ .

(٥) زكى شنودة : المجتمع اليهودي ، مكتبة الانجلو ، القاهرة ، ص ٥٢٨ .

(٦) عروة بن الزبير : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

(٧) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٨٩ .

(٨) جواد على : المرجع السابق ، ح ٧ ، ص ١٠٧ .

(٩) البيهقي : دلائل النبوة ، ح ٤ ، ص ٢٢١ .

— الذهبي : تاريخ الاسلام ، ح ١ ، ص ٣٤٧ .

أصحاب الحصون ، وبعض هؤلاء العمال كانوا من العبيد الأحباش فقد كان (يسار) الحبشي عبد أسود لعامر اليهودى فى غنم مولاه «^(١)» ، أى فى قطع يمتلكه عامر ، وعامر من أسرة مرحب من سادات اليهود القاطنين بوادى النطاة «^(٢)» ، كذلك تشير المصادر إلى أن المسلمين أثناء القتال فى منطقة الحصون بالنطاة شاهدوا عند حصن الصعب بن معاذ غنما لرجل يهودى ترعى وراء الحصن «^(٣)» ، كما تذكر أن أبا اليسر المقاتل المسلم أمسك بشاتين كانتا ضمن قطع كان فى الطريق إلى (حصن ناعم) «^(٤)» ، كما تذكر هذه المصادر أن المسلمين أخرجوا من قلعة أو (حصن الزبير) بعد أن فتحوه « غنماً كثيراً » ، كانت فى بيت فى الحصن «^(٥)» وأنهم غنموا من حصون الكتيبة كثيراً من الغنم «^(٦)» .

كذلك عنى اليهود فى خير بترية البقر ، فتذكر المصادر الاسلامية أن المسلمين غنموا من حصون خير بقرأ كثيراً وبخاصة من (حصن الصعب بن معاذ) وهو من حصون وادى النطاة «^(٧)» .

وقد تعجب الباحث عما تردد فى المصادر التاريخية عن كثرة البقر والغنم ووجودها بأعداد كبيرة فى ريف خير «^(٨)» ، إلا أنه بالبحث فى عقائد اليهود

(١) عروة بن الزبير : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

(٢) ابن هشام : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٣٤٨ .

(٣) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٠ .

(٤) الكلاعى الأندلس : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٢٥٦ .

— الديار بكرى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٥١ .

(٥) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٤ .

— الكلاعى الاندلسى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٢٥٦ .

(٦) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٨٠ .

(٧) المقرئى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٢٤١ .

(٨) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٤ .

وجدنا أن الحيوانات التى تنص الشريعة اليهودية بطهارتها وتصلح للقرايين فهى من الماشية البقر والغنم (١) ، كما أن الشحم من كل الذبائح وفق مايعتقدون يقدم لله ، ويستخدم فى الطقوس الدينية (٢) ، كما كانوا يستخدمون البقر فى الأعمال الزراعية مثل الحمل وسحب الماء من الآبار والحراثة فضلا عن الانتفاع بلحومها (٣) كما كان اليهود فى خيرير يربون الجمال رء وسأموال ، ولاستخدامها فى النقل ، والحراثة ، فضلا عن أهميتها لتجار اليهود وقوافلهم التجارية ، فقد كان لأنى رافع الخيرى قوافل تعمل فى تجارته مع بلاد الشام (٤) ومع أن يهود الحجاز كانوا يحرمون أكل لحوم الإبل ويكرهون شرب ألبانها (٥) إلا أن يهود خيرير كانوا يذبحون الإبل فى أفراحهم (٦) .

ولقد زادت أعداد الإبل فى منطقة الحصون بعد أن نزل واحة خيرير أكثر بنى النضير ، وهم الذين خرجوا من المدينة سنة ٤ هـ تحملهم وأمتعهم ستائة بعير من الإبل النواعم (٧) .

واهتم اليهود بتربية الخيول واقتنائها لأهميتها فى الحرب (٨) ، ومع أن المصادر التى بين أيدينا قد أشارت إلى أسماء العديد من الفرسان اليهود فى خيرير (٩) ، إلا أنها لم تذكر شيئا عن أعداد الخيول التى كان يمتلكها اليهود القاطنين فى الحصون

(١) زكى شنودة : المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

(٢) زكى شنودة : نفس المرجع ، ص ١٨٧ .

(٣) جواد على : الفصل ، ح ٧ ، ص ٥٧٥ .

(٤) ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٥) البرهان الحلبي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٣٣١ ، ٣٣٢ .

(٦) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٧٤ .

(٧) الواقدي : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٣٧٤ .

— الصالحى : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٤٦١ .

(٨) فؤاد حستين : المجتمع الاسرائيل حتى تشريده ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٨٩ .

(٩) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٥٦ ، ٦٥٧ .

الخيرية . كما أنها أغفلت الإشارة إلى حجم القوة الضاربة للفرسان اليهود في معارك خيبر سنة ٧ هـ ، بينما ذكرت تلك المصادر أن جيش النبي ﷺ كان يضم مائتي فرس (١) .

وكان اليهود يربون الحمير لاستخدامها في النقل والحمل ، ووجدت في أرض خيبر « أحمره ليهود » (٢) بأعداد كبيرة ، وقد أعدوا لها الحظائر في الحصون (٣) ، ويقول أبورهم الغفاري وكان من المسلمين الذين اشتركوا في غزوة خيبر : « فبينما نحن مُحاصرون حصن الصَّعْب بن معاذ ، فخرج عشرون حماراً منه أو ثلاثون ، فلم يقدر اليهود على إدخالها ، فأخذها المسلمون » (٤) ، وهذه الأعداد من حصن واحد من حصون منطقة النطاة ...

واهتم يهود خيبر بتربية الطيور التي كان يربها أهل الريف ، وعلى رأسها الدجاج ، وتربية الدجاج ينظر إليها العربى نظرة ازدراء واستهجان ، فلا يليق برجل حر يحترم نفسه أن يخدم حيواناً صغيراً أو طيراً كالدجاجة ، إلا أن تربية الطيور وبخاصة الدجاج كانت من حرف أهل الريف (٥) ، وتذكر بعض المصادر أن رسول الله ﷺ أعطى جبلة بن جوال الثعلبي كل داجن بخيبر ، ويقال أعطاه كل داجن في النطاة ، ولم يعطه من الكتيبة ولا من الشق شيئاً (٦) ، أما ابن إسحق فيذكر أن رسول الله ﷺ قد أعطى ابن لقيم العيسى حين افتتح خيبر ما بها من دجاجة أو داجن فقال ابن لقيم في فتح خيبر (٧) .

(١) البيهقي : دلائل النبوة ، ح ٤ ، ص ٢٣٨ .

(٢) الذهبي : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٣٤٧ .

(٣) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ١٦٣ .

(٤) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٠ .

(٥) جواد على : الفصل ، ح ٧ ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٦) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٠٠ .

(٧) ابن هشام : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٣٥٥ .

رمت نطاة من الرسول بفيلق شهاب ذات مناكب وفقار
واستيقنت بالذل لما شيعت ورجال أسلم وسطها وغفار
صبحت بنى عمرو بن زرعة غدوة والشق أظلم أهله بنهار
جرّت بأبطحها الذبول فلم تدع إلا الدجاج تصيح بالأسحار

ولكثرة ما أخذ ابن لقيم العبسي من الدجاج من خير فقد عُرفَ في بعض المصادر باسم « لقيم الدَّجَاج » (١) .

وأخيراً ، لانتسى أن اليهود في خير اهتموا بتربية النحل ، لما يترتب على ذلك من استخراج العسل ، إذ كان العسل من مصادر الثروة (٢) ، وتشير بعض المصادر إلى أن المسلمين غنموا من حصون خير شيئاً كثيراً من العسل (٣) .

أحوال الزراعة في خير من الفتح وحتى نهاية عهد عمر بن الخطاب :

إن الخارص (٤) للمحاصيل الزراعية في خير في العام السابع من الهجرة ليدرك عن يقين أن النشاط الزراعي في الواحة الخيرية كان مزدهراً ، وأن الإنتاج الزراعي كان وفيراً . فالحصول الكلي للتمر خرص بـ ٤٠,٠٠٠ (أربعين ألف) وسق (٥) ، بينما كان محصول الشعير يقدر بعشرة آلاف صاع (٦) ، والنوى يقدر بخمسة آلاف صاع (٧) ، فضلاً عن محصول القمح

(١) ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٢٨ هـ ، ج ٣ ، ص ٣٣١ .

(٢) نادية صقر : الطائف في القصر الجاهل وصدر الاسلام ، الطبعة الأولى ، جده ، دار الشروق ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ٤٤ .

(٣) الحلبي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٤٢ .

(٤) الخارص : هو الذي يحرز ما على النخل والكرم من ثمر ، والخرص : الظن (ابن منظور : لسان العرب ج ٢ ، ص ١١٣٣ ، مادة (خرص)) .

(٥) ابن شبة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٧ .

(٦) الشريف : المرجع السابق ، ص ٣٥٨ .

(٧) تقديراً إذ أن ناتج النوى من ثمر الكتيبة الذي يقدر بمائة آلاف وسق هو ألف صاع من النوى .

الذى كان يعد من المحاصيل الرئيسية فى الواحة الخيرية وهو من أهم المحاصيل التى يتجر فيها اليهود ^(٥) ، هذا إلى جانب العديد من المحاصيل الزراعية التى سبق الإشارة إليها ^(٦) . وفى هذا دلالة قاطعة على أن الواحة فى خير كانت بحق من أهم مراكز الإنتاج الزراعى فى بلاد الحجاز آنذاك ، مما جعل المعاصرين لتلك الفترة ينظرون إليها على أنها « ريف الحجاز أجمع » ^(٧) .

ولما فتح الله على رسوله محمد ﷺ خير فى صفر سنة ٧ هـ ، وغلب على الأرض والزرع والنخل ، وصالح اليهود فى خير على شروط ، ثم قسمها سَهْمَانًا بين الفاتحين بعد أن عزل الخمس ^(٨) ، سألت اليهود رسول الله ﷺ أن يُقرهم على أن يعملوا فى زراعة الأرض وفلاحتها وعمارة نخيلها ، فأتيلن له : « يا أبا القاسم ، نحن عبيدك ، فاستبقنا ، فادفع إلينا أرضك ، نُعطك ماشئت ، ونأخذ ماشئت » ^(٩) ، يا محمد : دعنا نكون فى هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها ^(١٠) ، يا محمد : نحن أرباب النخل وأهل المعرفة بها ، فساقاهم رسول الله ﷺ « ^(١١) » ، وأعطاهم خير على أن لهم الشطر من كل زرع ونخل وشئ ، مابدا لرسول الله ﷺ « ^(١٢) » على أن يكفوا المسلمين المؤونة حتى يبلغ الثمر ، ولهم الحطب وسواقط النخل « ^(١٣) » .

ووفق هذه الشروط فإنه كان على اليهود المعاهدين له فى خير — بما لهم من

(١) الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

(٢) انظر ص ١٤ وما بعدها .

(٣) الواقدى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٧٤ .

(٤) الذهبى : المصدر السابق ، ص ٣٥٣ .

(٥) ابن شبة : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١٧٧ .

(٦) البيهقى : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٣٠ .

(٧) الواقدى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٩١ .

(٨) البيهقى : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٣٠ .

(٩) ابن شبة : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١٧٩ .

خبرة في الزراعة ، أن يقوموا بفلاحة الأرض ، وسقى الثمار ، وتطهير القنوات واصلاح منابت الشجر وتلقيحه ، وحفظ الثمرة وجذاذها وبناء الحوايط ، وحفر الأنهار ^(١) ، وحراسة الزروع ، ونحو ذلك ، وأن يعتملوها بأموالهم وأنفسهم ولهم النصف من كل ما يخرج منها ^(٢) .

ثم تشير المصادر التي بين أيدينا إلى أن السبب الذي دفع الرسول ﷺ إلى أن يقر اليهود في خير على زراعة أرضها وعمارة نخلها هو أنه « لم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها وكانوا لا يفرغون أن يقوموا عليها » ^(٣) و « لم يكن لهم من العمال ما يكفون عمل الأرض » ^(٤) ومن ثم دفعها إلى اليهود مقاسمة على النصف ^(٥) .

ولقد وفر رسول الله ﷺ لليهود العاملين في أرض خير أسباب مواصلتهم للنهوض بزراعة الأرض وفلاحتها « لتسمية الثمار » ^(٦) وذلك منذ اليوم الأول لفتح خير ، على أساس سياسة العدل التام والمعاملة الطيبة ^(٧) ، فعندما شكت اليهود لرسول الله ﷺ أن المسلمين « يقعون في حرثهم وبقلهم بعد المساقاة وبعد أن صار لليهود نصفه » ، نهى النبي ﷺ قوات الفتح عن ذلك وخطبهم قائلا : « إن اليهود شكوا إلى أنكم وقعتم في حظائرهم ، وقد أمّناهم على دمائهم وعلى أموالهم والذي في أيديهم من أراضيهم ، وعاملناهم ، وأنه لا نخل

(١) النووي : شرح صحيح مسلم ، ج ١١ ، كتاب المساقاة والمزارعة ، ص ٢١١ .

(٢) ابن حزم : جوامع السيرة ، ص ٢١٣ .

(٣) البيهقي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٣٥ .

(٤) البيهقي : نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

(٥) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤٠ .

(٦) ابن حجر : فتح الباري ، كتاب المغازي ، باب استعمال النبي ﷺ على أهل خير ، حديث رقم ٤٢٤٧ ، ٤٢٤٨ ، ص ٥٦٧ .

(٧) الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

أموال المعاهدين إلا بفتحها ^(١) . وقد إلترم المسلمون بأمر النبي ﷺ وكانوا « لا يأخذون من بقولهم شيئاً إلا بثمن » ^(٢) . وإذا حاول اليهودى أن يعطى المسلم شيئاً بغير ثمن أصر المسلم على دفع الثمن ^(٣) ، كذلك نجد أن رسول الله ﷺ كان يبعث إلى اليهود فى خيرير عبدالله بن رواحة وكان مسترضعاً فيهم ^(٤) — فيحرص عليهم ، ويقسم ثمرها ، ويعدل عليهم فى الحرص ^(٥) . ولقد شهدوا له بعدله ^(٦) وكان إذا ادعى اليهود الزيادة فى الحرص ، خيّرهم بين أخذ الثمرة بخرصها ، أو تركها للمسلمين بخرصها ، وكانوا يختارون ^(٧) ، ولاشك أنهم الراجحون ^(٨) .

ولما استشهد عبدالله بن رواحة فى غزوة مؤتة فى سنة ٧ هـ ، كان جبار بن صخر الأنصارى — خاخص المدينة وحاسبها — هو الذى يحرص عليهم بالعدل ، « فأقامت اليهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأساً فى معاملتهم » ^(٩) .

ورغم توفير أسباب النهوض بالزراعة فى خيرير فى عهد الرسالة ، والسياسة الحكيمة للنبي ﷺ القائمة على العدل التام فى معاملة اليهود ^(١٠) ، إلا أن اليهود

- (١) الواقدى : المصدر السابق ، حد ٢ ، ص ٦٩١ .
- وانظر ابن زنجية : الأموال ، حد ١ ، ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ .
- (٢) الواقدى : المصدر السابق ، حد ٢ ، ص ٦٩١ .
- (٣) الواقدى : نفس المصدر ، ونفس الصفحة .
- (٤) ابن شبة : المصدر السابق ، حد ١ ، ص ١٧٩ .
- (٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق عمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٧ م ، حد ٣ ، ص ٢٠ ، ٢١ .
- (٦) ابن شبة : المصدر السابق ، حد ١ ، ص ١٧٧ ، ١٨٠ .
- (٧) ابن شبة : المصدر السابق ، حد ١ ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ .
- (٨) الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .
- (٩) الطبرى : المصدر السابق ، حد ٣ ، ص ٢٠ .
- (١٠) الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

منذ العام الأول لفتح خيبر كانوا يحاولون سرقة المحصول من المسلمين لأنهم غير راضين في قرارة أنفسهم بمحصولهم على النصف من الثمار والتمر في مقابل زراعة الأرض وعمارة النخل ، ولسرقة المحصول قدموا الرشوة إلى عبدالله بن رواحة عندما أرسله النبي ﷺ ليخرض عليهم ، وجمعوا له حلياً من حلى نسائهم وقالوا له : « هذا لك ، وتجاوز في القسم » (١) ، ولما لم يفلحوا في سرقة المحصول عند خرصه عن طريق الرشوة ، لجأوا إلى أسلوب الإرهاب بقتل واغتيال من يفد من المسلمين إلى خيبر ليتفقد أحوال الزراعة في أراضيهم وليراقب اليهود العاملين فيها (٢) ، وذلك لتخويفهم من الذهاب إلى خيبر ولإبعادهم عنها ، حتى يتسبر لهؤلاء اليهود نهب المحصول بعيداً عن رقابة أصحابه المسلمين .

ولما كشف المسلمون هذا المخطط اليهودي الخبيث وحذرهم النبي ﷺ (٣) ، أهمل اليهود شئون الأرض ، ولم يهتموا بعمارة النخل ، إذ تطالعنا المصادر بأن الانتاج الزراعى في خيبر قد قل ونقص ، « وأن البلاد ليست كما كانت » (٤) ، « واليهود بأيديهم الأرض والنخل ليست كما كانت » على حد قول أصحابها المسلمين من أصحاب الأسهم (٥) ، فقد تدهور إنتاج الأرض من الحاصلات الزراعية ، كما قل إنتاج النخل من التمر (٦) . وإذا كان المسلمون قد ذهبوا إلى خيبر لتفقد أحوال أموالهم التي بيد اليهود ومراقبة زروعهم (٧) . فإن

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٩١ .

(٢) ابن هشام : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٦٩ .

الذهبي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٥٢ .

الحلى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٧٣ .

(٣) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧١٤ .

(٤) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧١٣ .

(٥) الواقدي : نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

(٦) ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

(٧) الحلى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٧٢ ، ٧٧٣ .

اليهود في خير تأمروا لابعاد المسلمين عن أرض خير أو الذهاب إليها ليتمكنوا من نهب الثمار والزررع ، قبل خرصها ، وفي سبيل هذا الهدف لجأوا إلى ارباب أصحاب الأسهم من المسلمين بقتلهم في خير كلما لاحت لهم الفرصة ، إذ تذكر المصادر أنهم هم الذين قتلوا عبدالله بن سهل بن زيد الأنصارى الحارثى بخير^(١) ، « وكان خرج إليها في أصحاب له يمتار منها تمراً »^(٢) وكان ذلك على عهد رسول الله ﷺ إذ حذرهم ﷺ وأنذرهم بالحرب^(٣) .

ولقد اهم أبو بكر رضى الله عنه في خلافته بشئون خير ، وسلك نهج رسول الله ﷺ في معاملته لليهود فيها ، وأقرهم على زراعة أرضها وعمارة نخلها كما كانوا على عهد رسول الله ﷺ^(٤) ، كما « كان أبو بكر يبعث مَنْ يَظْلَعُهَا وينظر إليها ويتعاهدها ويراقب اليهود العاملين فيها » ، « وكان عمر يفعل ذلك أيضا »^(٥) ، صدرأ من خلافته^(٦) ومع ذلك شهد الانتاج الزراعى في خير قبل اجلائهم منها مزيداً من التدهور في خلافة عمر ، وبخاصة في واديا الشق والنطاة^(٧) ويرجع إسرائيل ولفنسون تدهور النشاط الزراعى في خير آنذاك إلى المراقبة الشديدة التى فرضها المسلمون على الزراع اليهود في خير ، وإلى سوء الأوضاع الاقتصادية لليهود في خير بعامه ، فضلا عن أن نصف

(١) ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق محمد ابراهيم البنا وآخرون ، القاهرة ، ١٩٧٠ م ، ج ٣ ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

(٢) ابن هشام : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٦٩ .

(٣) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧١٤ .

(٤) ابن شبة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٨ .

(٥) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧١٦ .

(٦) ابن شبة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٧) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧١٣ .

المحصول الذى يحصل عليه اليهود لم يكن كافيا لمعيشتهم ، كما لم يكن كافيا للنفقة على زراعة الأرض التى بأيديهم أو عمارة النخل (١) .

وقد دفع قلة إنتاجية الأرض في خيرير المسلمين إلى الاستعانة بأهالى البلاد المفتوحة ممن لهم خبرة بالزراعة ، لفلاحة أراضيهم في الواحة الخيزرية ، فتذكر المصادر أن مُظَهَّر بن رافع الحارثي أتى بأعلاج من نصارى الشام ممن لهم خبرة بالزراعة كيهود خيرير ، ليعملوا له في أرضه ، ولم يلبث هؤلاء الفلاحون القادمون ثلاثة أيام في خيرير حتى حرضهم اليهود على قتل مُظَهَّر ، ودسوا إليهم سكينين أو ثلاثة ، فبعجوا بطنه ، ثم لجأ الجناة إلى اليهود في خيرير « فأووهم وزودوهم وأعطوهم قوة فلحقوا بالشام » (٢) ، وقد فعل اليهود ذلك ليفسدوا أى خطة للاستعانة بغيرهم ، في فلاحة الأرض ، كما أنهم تربصوا بعباد الله بن عمر وجماعة من أصحاب الأسهم في خيرير عندما تفرقوا في أودية الواحة ليتفقدوا الزروع والثمار ، فقدعوا يداه (٣) ، لارهابه وأصحابه بهدف ابعادهم عن أموالهم في خيرير ، مما دفع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أن يتخذ قراراً في سنة ٢٠ هـ / ٦٤١ م باجلاء اليهود عن أرض خيرير ، فقد تكرر منهم نقض ماصالحهم عليه رسول الله ﷺ . وخطب عمر الناس فأعلمهم أنه خارج إلى خيرير : لاجلاء اليهود منها فليس للمسلمين « عدو هناك غيرهم ، فمن كان له بها مال فليخرج فأنا خارج ، فقاسم ماكان بها من الأموال ، وحاد حدودها ، ومورف أرفها (٤) ، ومجلى اليهود منها ، فان رسول الله ﷺ قال لهم : « أقركم ما أقركم الله » ، وقد أذن الله في جلائهم إلا أن يأتى رجل منهم

(١) ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٧٤ ، ١٨٣ .

(٢) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧١٦ .

الحلى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٧٢ ، ٧٧٣ .

(٣) ابن كثير : السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٤١٦ .

(٤) الأرف : جمع أَرْفَة وهى الحُلُودُ والمَعَالِمُ . ويُقال : أَرَفْتُ الدار والأرض تأريفاً إذا قَسَمْتُهَا وَحَدَّدْتُهَا (ابن منظور : اللسان ، ج ١ ، ص ٦٣ ، مادة : أرف) .

بمهد أو بئنة من النبي ﷺ أنه أقره فأقره ، (١) ، وقد رأى المهاجرون جميعاً
والأنصار وأى عمر ، ثم خرج عمر رضى الله عنه بأربعة قُسام : فزوة بن عمر
البياضى ، وحُباب بن صخر السُلَمى ، وأبو الهيثم بن التَّيَّهان ، وزيد بن
ثابت ، فقسّموا خير على ثمانية عشر سهماً ، على الرعوس التى سُمى النبي
ﷺ (٢) .

★ ★ ★

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧١٦ ، ٧١٧ .

(٢) الواقدي : نفس المصدر ، ح ٢ ، ص ٨١٨ .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

- (١) ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م) :
« أسد الغابة في معرفة الصحابة » ، سبعة أجزاء ، تحقيق محمد ابراهيم البنا وآخرون ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- (٢) البلاذرى (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) :
« فتوح البلدان » ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
- (٣) البكرى (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) :
« معجم ما استعجم » ، أربعة أجزاء ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م .
- (٤) البيهقى (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) :
« المحاسن والمساوى » ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، (د . ت) ، الجزء الثانى .
- (٥) — : « دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة » ، ثمانية أجزاء تحقيق عبد المعطى قلعجى ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- (٦) أبو حاتم السجستاني (ت ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م) :
« كتاب النخل » تحقيق ابراهيم السامرائى ، الطبعة الأولى ، دار اللواء ، الرياض ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

- (٧) ابن حجر (٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) :
 « فتح الباري بشرح صحيح البخارى » ، مراجعة قصي محب الدين الخطيب ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .
- (٨) — : « الإصابة في تمييز الصحابة » أربعة أجزاء ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٢٨ هـ .
- (٩) الحرى (ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م) :
 « كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة » ، تحقيق حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
- (١٠) ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م) :
 « جوامع السيرة » ، تحقيق احسان عباس وناصر الدين الأسد ، دار المعارف ، القاهرة ، (د . ت) .
- (١١) الحلبي (ت ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٥ م) :
 « انسان العيون في سيرة الأئمين المؤمنين » ، المعروفة بالسيرة الخلية ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م . الجزء الثاني .
- (١٢) الحميرى (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٥ م) :
 « الروض المعطار في خبر الأقطار » ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٥ م .
- (١٣) حسان بن ثابت (ت ٥٤ هـ / ٦٧٣ م) :
 « ديوان حسان بن ثابت » ، تحقيق سيد حنفى حسانين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٣ .
- (١٤) الخزاعى (ت ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م) :
 « كتاب تخرىج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصانع والعمالات الشرعية » ، القاهرة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م .

(١٥) ابن دريد (ت ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م) :
« جوهرة اللغة » ، ثلاثة أجزاء ، الطبعة الأولى ، حيدر آباد ، الدكن ،
١٣٤٥ هـ .

(١٦) الديار بكري (ت ٩٦٦ هـ / ١٥٥٩ م) :
« تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس » مؤسسة شعبان ، بيروت ،
(د. ت) .

(١٧) الذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) :
« المغازي » تحقيق محمد محمود حمدان ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب
الليثاني ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

(١٨) ابن الزبير (ت ٩٣ هـ / ٧١١) عروة :
« مغازي رسول الله ﷺ » ، جمع وتحقيق محمد الأعظمي ، الطبعة
الأولى ، منشورات مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ،
١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

(١٩) ابن زنجويه (ت ٢٥١ هـ / ٨٦٥ م) :
« الأموال » ، ثلاثة أجزاء ، تحقيق شاكر ذيب فياض ، الطبعة الأولى ،
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ،
١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

(٢٠) ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م) :
« الطبقات الكبرى » ، دار الفكر العربي ، القاهرة (د. ت) ، الجزء
الثاني .

(٢١) السهودي (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٦ م) :
« وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » ، أربعة أجزاء ، تحقيق محمد محي
الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

- (٢٢) السهيلي (ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) :
 « أروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام » ، تحقيق عبدالرحمن
 الوكيل ، القاهرة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ، الجزء السادس .
- (٢٣) ابن شبة (ت ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م) :
 « تاريخ المدينة المنورة » ، أربعة أجزاء ، تحقيق فهم شلتوت ، دار
 الأصفهاني ، جدة ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- (٢٤) الشيباني (ت ١٨٩ هـ / ٨٠٤ م) :
 « شرح كتاب السير الكبير » ، املاء محمد بن الحسن السرخسي ، تحقيق
 صلاح الدين المنجد ، خمسة أجزاء ، مطبوعات معهد المخطوطات بجامعة
 الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ م .
- (٢٥) الصالحى (ت ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م) :
 « سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد » ، الجزء الثالث ، تحقيق
 عبدالعزيز حلمي ، القاهرة ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، والجزء الرابع
 تحقيق ابراهيم الترنزي وعبدالكريم العزباوى ، القاهرة ، ١٣٩٩ هـ /
 ١٩٧٩ م ، والجزء الخامس ، تحقيق فهم شلتوت وجودة هلال ،
 القاهرة ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م ، والجزء السادس ، تحقيق ابراهيم
 الترنزي وعبدالكريم العزباوى ، القاهرة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م .
- (٢٦) الطبرى (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م) :
 « تاريخ الرسل والملوك » ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة
 الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ م ، الجزءان الثانى والثالث .
- (٢٧) الفيروزابادى (ت ٨٢٣ هـ / ١٤١٥ م) :
 « المغام المطابة في معالم طابة » ، تحقيق حمد الجاسر ، الطبعة الأولى ، دار
 الجامعة ، الرياض ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

(٢٨) ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) :
« عيون الأخبار » ، أربعة أجزاء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
القاهرة ، ١٩٧٣ م .

(٢٩) القزويني (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) :
« آثار البلاد وأخبار العباد » ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ،
١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

(٣٠) ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م) :
« أحكام أهل الذمة » ، جزآن ، تحقيق صبحي الصالح ، الطبعة الأولى ،
دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦١ م .

(٣١) — : « زاد المعاد في هدى خير العباد » ، تحقيق شعيب وعبدالقادر
الأرنؤوط ، الطبعة الثالثة عشر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ /
١٩٨٦ م ، الجزء الثالث .

(٣٢) ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م) :
« البداية والنهاية » ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ،
الجزآن الثالث والرابع .

(٣٣) — : « السيرة النبوية » ، ثلاثة أجزاء ، تحقيق مصطفى عبدالواحد ،
دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

(٣٤) الكلاعي الأندلسي (ت ٦٣٤ هـ / ١٢٣٧ م) :
« الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء » ، جزآن ، تحقيق
مصطفى عبدالواحد ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م .

(٣٥) ابن عبد الكريم الأنصاري (من رجال القرن الثاني عشر الهجري) :
« تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ماللمدنيين من الأنساب » ، تحقيق
محمد العروسي المطوى ، الطبعة الأولى ، تونس ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

(٣٦) ابن عبد ربه (٣٤٩ هـ / ٩٤٠ م) :
« العقد الفريد » تحقيق أحمد أمين وآخرون ، الطبعة الثانية ، لجنة التأليف
والترجمة والنشر ، القاهرة ، (د.ت) ، الجزء السادس .

(٣٧) أبو عبيد (ت ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م) :
« الأموال » ، تحقيق محمد خليل هراس ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ،
بيروت ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

(٣٨) مالك (ت ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م) :
« الموطأ » ، تحقيق أحمد عرמוש ، الطبعة السادسة ، دار النفائس ،
بيروت ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

(٣٩) المقرئزي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) :
« امتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع » ،
الجزء الأول ، تحقيق محمد التميمي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ،
١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

(٤٠) ابن منظور (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) :
« لسان العرب المحيط » ، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرون ، دار
المعارف ، القاهرة ، (د.ت) .

(٤١) النووي (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) :
« شرح صحيح مسلم » ، المطبعة المصرية ومكبتها ، القاهرة ، (د.ت) ،
الأجزاء ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

(٤٢) ان هشام (ت ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) :
« السيرة النبوية » تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، دار أحياء التراث
العربي ، بيروت ، الجزء ان الثالث والرابع .

(٤٣) الحمداني (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م) :
« صفة جزيرة العرب » ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، الرياض ،
١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

(٤٤) الواقدي (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م) :
« المغازي » ، ثلاثة أجزاء ، تحقيق مارسدن جونز ، عالم الكتب ،
بيروت ، ١٩٦٥ م .

(٤٥) ياقوت (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) :
« معجم البلدان » ، خمسة أجزاء ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ /
١٩٧٧ م .

ثانياً : المراجع

- (٤٦) الأفغانى (سعيد) :
« أسواق العرب فى الجاهلية والاسلام » ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ،
بيروت ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م .
- (٤٧) باشميل (أحمد) :
« غزوة خيبر » ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م .
- (٤٨) الجاسر (حمد) :
« فى شمال غرب الجزيرة » الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٣٩٠هـ .
- (٤٩) جروهمان (أدولف) :
« خيبر » ، مقال بدائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة محمد ثابت
وآخرون ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣ م ، الجزء التاسع .
- (٥٠) جواد على :
« المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام » ، الطبعة الثالثة ، بيروت ،
١٩٨٠ م ، الجزء
- (٥١) جيلمور (مايكل) وآخرون :
« تقرير مبدئى عن مسطح المنطقتين الشمالية الغربية والشمالية ، اطلال
حولية الآثار السعودية » ، العدد السادس ، الرياض ، ١٤٠٢هـ /
١٩٨٢ م .
- (٥٢) حسن ظاظا :
« الفكر الدينى اليهودى — أطواره ومذاهبه » ، الطبعة الثانية ، دار
القلم ، دمشق ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م .
- (٥٣) خليف (يوسف) :
« الشعراء الصعاليك » ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ،
١٩٧٨ م .

(٥٤) الخطراوى (محمد العيد) :
« المدينة المنورة في العصر الجاهلى » ، الطبعة الأولى ، مؤسسة علوم
القرآن ، دمشق ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢ م .

(٥٥) شنودة (زكى) :
« المجتمع اليهودى » ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، (د.ت).

(٥٦) عاتق غيث البلادى :
« بين مكة وخضرموت » ، الطبعة الأولى ، مكة ، ١٤٠٢هـ /
١٩٨٢ م .

(٥٧) فؤاد حسنين :
« المجتمع الاسرائيلى حتى تشريده » ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

(٥٨) مهران (محمد بيومى) :
« دراسات فى تاريخ العرب القديم » ، مطابع جامعة الامام محمد بن
سعود الاسلامية ، الرياض ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م .

(٥٩) ثورة الشيخ :
« الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى المدينة المنورة فى صدر الاسلام » ،
الطبعة الأولى ، جدة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م .

(٦٠) ولفنسون (اسراييل) :
« تاريخ اليهود فى بلاد العرب » ، القاهرة ، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧ م .

(فهرس موضوعات البحث)

ص

٤ مقدمة البحث
٧ خير ريف الحجاز
٨ أودية الواحة في خير
١٠ عوامل النشاط الزراعي وأشهر السدود في خير
١٤ المحاصيل الزراعية والانتاج الزراعي
٢٤ المراعي وتربية الماشية
٢٩ أحوال الزراعة في خير من الفتح وحتى نهاية عهد عمر بن الخطاب
٣٧ قائمة المصادر والمراجع